

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ  
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ  
اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

﴿١٣٨﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

## قواعد في الحلال والحرام

برامج

اللقاء التاسع عشر من تفسير سورة الأنعام | شرح الآيات 138 - 142

2023-12-23

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:  
فمع اللقاء التاسع عشر من لقاءات سورة الأنعام، ومع الآية الثامنة والثلاثين بعد المئة، وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ  
سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138)

### افتراءات ومزاعم المشركين المتعلقة بالأنعام:

**(وقالوا)** أي المشركون، وما زال الحديث عن المشركين وافتراءاتهم ومزاعمهم، وما أشركوا به ربهم -جلّ جلاله-، وهنا افتراءات ثلاث متعلقة بالأنعام والسورة سورة الأنعام؛ وهي سورة في التوحيد وفي إثبات الوجدانية لله، والأنعام خلق من خلق الله، والمشركون جعلوا لهم حكماً في الأنعام، فجعلوا يُشركون شركاءهم فيما خلقه الله تعالى فسميت السورة سورة الأنعام.



حرم المشركون ما أحل الله تعالى من أنعام على الناس

1- (وَقَالُوا) أي المشركون: (هُدَاهُمْ أَنْعُمٌ وَخَرِثُوا)، الأنعام: الإبل والبقر والغنم، والحرث: الزرع التي تُحرث، (جَجَزُوا): جعلوا من بعض الأنعام ومن بعض الزروع أنعامًا وزروعًا جَجَزًا؛ أي محجورة مثل دِيح بمعنى مذبح، وطِيخ بمعنى مطحون وَجَجِرَ بمعنى محجور، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَهُوَ الَّذِي مَرَحَ لِبَخْرِيبِنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِزًّا مَّحْجُورًا (53)

(سورة الفرقان)

بين البحرين، (وَجِزًّا مَّحْجُورًا)، فأسمك كل بحر محترمة على البحر الآخر محجورة عليه، فجَجِرَ بمعنى حرام، فهؤلاء المشركون جعلوا أنعامًا وحرثًا محترمة على الناس وجعلوها لألتهم ولمن يريدون من خدم الآلهة والكهنة وغير ذلك، (لَا يَطْلُقُ غَمُّهَا إِلَّا مَنْ تَشَاءُ) فهي لألتهم يطعمون منها الذكور حيًا، ويطعمون منها من يخدمون الآلهة التي يزعمونها حيًا.

(لَا يَطْلُقُ غَمُّهَا إِلَّا مَنْ تَشَاءُ يَزْعُمُهُمْ) والزرع لا دليل عليه ولا حجة فيه ولا برهان، يُقال: زعم فلان، هل له دليل؟ ليس له دليل، حجة؟ ليس له حجة أو برهان، وإنما زعم فالزرع مطية الكذب، فقال: (يَزْعُمُهُمْ) أي قالوا ذلك متلبسين بزعمهم.

2- الافتراء الثاني: (وَأَنْعُمٌ حُرِّمَتْ طَهُورُهَا) أي لا يركبونها، حُرِّمَ الطهر أي لا يركب، هذه الأنعام لا تُركب، وهذه الأنعام التي حُرِّموا طهورها على أنفسهم ورد ذكرها في سورة المائدة؛ وهي أنهم جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحام، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ بَجِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَا لَذِينَ كَفَرُوا يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103)

(سورة المائدة)

فالبحيرة هي من الإبل الناقة التي يقطعون أذننها عندما تلد عدة بطون إلى حد معين تُفقطع أذننها فيحرم طهرها؛ لا تركب، والسائبة هي التي بلغت سنًا معينًا فجعلوها لألتهم فلا تُركب ولا تُذبح، والوصيلة ما اتصلت ولادتها أشئ بأشئ، دائمًا أكثر من بطن أشئ فأشئ، فأيضًا هذه حُرِّموا ركوبها؛ والحام هو الفحل من الإبل الذكر أيضًا حُرِّموا بعدد معين من الأولاد حُرِّموا ركوبه، فهذه الأنعام أو الأصناف من الأنعام هي التي حُرِّمَتْ طهورها، ورد تحديدها في سورة المائدة، (وَأَنْعُمٌ حُرِّمَتْ طَهُورُهَا).



إذا نسيت النعمة لغير الشئ حرم أكلها

3- الصنف الثالث من افتراءاتهم في الأنعام، قال: (وَأَنْعُمٌ لَا تَدُكَّرُونَ بِسْمِ اللَّهِ) فإذا ذبحها ذبحوها لألتهم، فيذبحونها باسم الآلهة لا باسم الخالق الذي خلقها، وهذه لا تؤكل في شريعتنا، لو أن ذابحًا نسي فلم يذكر اسم الله، قال:

{ أَنْ قَوْمًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ لَا تَدْرِي أَدَكَّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَمُّوا اللَّهَ

عَلَيْهِ وَكَلُّوهُ. }

(صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين)

لكن لو أتى ذكر غير اسم الله عليه فهذه الأنعام ولو دُبحت وفق الذبح الشرعي فإنها لا تؤكل؛ لأن النعمة فيها تُسبب لغير المُنعِم، خلق الأنعام ثم تُذبح للأكل، (وَأَنْتُمْ لَا تَدَكَّرُونَ سَمَّ اللَّهِ عَلَيْهَا فَيَتَرَاءَ عَلَيْهِمْ) افتراءً على الله، والافتراء من أعظم أنواع الكذب، وهو الفرية؛ وهو أن تأتي بشيء لا أصل له، ولا دليل عليه، ولا حجة فيه، ولا برهان به؛ افتراء، محض افتراء، فافتروا على الله الكذب، وحرّموا وحلّوا بما لم يأذن به الله، قال: (سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وهذا وعيد وتهديد بأن الله تعالى سيجزي هؤلاء المشركين بافتراءاتهم تلك عذاباً عظيماً، وجعل الجزاء مطلقاً فما حدده، قال: سيجزيهم، -ولله المثل الأعلى- كأن يقول الأب لابنه: جزاؤك عندي، فيرتجف الولد إن كان يعلم أن والده قاسٍ في تعامله؛ لأن الجزاء أطلق، فبيدأ يتخيل ما هو هذا الجزاء الذي سيجازيه به؟

## التحليل والتحریم من شأن الله تعالى وحده:

وقد يقول قائل هنا: ما هذه القضية المهمة -هي جرت في الماضي- ما هي القضية المهمة التي من أجلها أثبت الله هذا الأمر في القرآن الكريم إلى يوم القيامة، قرآن يتلى إلى يوم القيامة؟ القضية المهمة أن هؤلاء نموذج من المشركين الذين يظنون أن الدين هو معتقد ولكن في واقع الحياة هو ليس نظاماً، فهم يأذنون لأنفسهم وبيجون لأنفسهم أن يحلّوا ويحرّموا وفق ما يشتهون، القضية مهمة جداً، اليوم ما يوجد بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، اليوم لا يوجد من يجعل أنعاماً معينة حجراً للشركاء لله تعالى، لكن كم من شخص يريد أن يُجَلِّ القانون المدني محل قانون الأحوال الشخصية في الزواج والطلاق، وكم من شخص يريد أن يحلّ ويحرّم وفق هوى نفسه، فيقول: هذا حلال وهذا حرام بزعمهم، كما ورد في آية أخرى، فقالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116)

(سورة النحل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ سَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَوَلَّوْا كَيْمَهُمُ الْأَفْضَلَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (21)

(سورة الشورى)



طوائف الأرض يجعلون من أنفسهم حكماً في الحياة لينظموا حياتهم فالمشكلة الرئيسية في هذا الموضوع ليست في وجود بعض الأنعام المحرمة أو كذا، الموضوع أعم من ذلك بكثير وهو أن الإنسان عندما يجعل نفسه محوراً لهذا الكون وأصلاً، فيجعل التحريم والتحليل صفة له أو يدينه فيحطل ويحرّم هنا المصيبة، فالتحليل والتحریم من شأن الله تعالى وحده، ليس للإنسان أن ينظم حياته، يقول لك: الدين بالمسجد، أعبد الله بيني وبينه، أما الحياة يا أخي اليوم قانون، تحتاج إلى القانون لينظم حياتنا، اليوم الحدود لم تُعد حصارية، اليوم يوجد سجون إصلاحية عقوبات إصلاحية، وكان العقوبات التي شرعها الله تعالى غير إصلاحية لا تُصلح المجتمع، لكنه الآن اكتشف عقوبات تُصلح المجتمع، قطع اليد- والعياذ بالله- كانوا يقولون: سلوك همجي، نسجنه حتى نصلحه ونخرجه للمجتمع صالحاً، والقضية في العمق هي قضية أن الإنسان عندما يريد أن يجعل نفسه حكماً في الحياة فينظم حياته كما يحب ويشتهي، واليوم طوائف الأرض والذول الأخرى التي تعادتنا لا مشكلة لها أن ينقي في المسجد وأن تجعل الدين علاقة مع الله -عزَّ وجلَّ- لأنها لا تؤثر في واقع الحياة، إن كان دينك علاقة بالله تعالى فقط في المسجد فما أحد عنده مشكلة مع دينك هذا، ماذا بضرهم أن تدخل إلى المسجد، وأن تصلي لله -عزَّ وجلَّ- لكن عندما تريد أن تفرض دينك في واقع الحياة فإن هذا سيضرهم جداً؛ لأنك تتدخل في الإعلام فتقول لهم: هذا إعلام فاسد مُفسد لم يأذن به الله تعالى، وستتدخل في القوانين فتقول لهم: هذا لا يجوز فإنه حكم بغير ما أنزل الله، وستتدخل في تربية الأبناء فتقول لهم: يجب أن تعلم المدارس أبناءنا واحد، اثنين، ثلاثة وفق منهج الله -عزَّ وجلَّ- وستقول لهم: هذه نظرية داروين لا تصلح أن تكون في مناهجنا الدراسية، وستقول لهم: لا أبيع لكم أنت تدخلوا الشدود وما يحرص عليه في مناهجنا، ستقول لهم: لا أقبل بالبنوك الربوية؛ لأن الربا توعد الله مرتكبه بحرب من الله ورسوله، فأنت عندما تريد أن تدخل في واقع الحياة بهاجمونا، أما في المسجد فليست هناك مشكلة كبيرة معهم مع المسجد، قضية الأنعام ليست قضية سهلة، ربنا -عزَّ وجلَّ- بين كيف هؤلاء استحلوا لأنفسهم واستباحوا لأنفسهم أن يشرعوا، من الذي أذن لك أن تقول هذه الأنعام لا تركها؟ الله خلقها وأحلَّ ركوها فأنت جعلت حلالاً وحراماً، هذا تركب وهذا لا تركبه، من الذي سمح لك أن تذبح الذبيحة لأهلك وهي قد خلقها الله تعالى؟ من الذي سمح لك أن تجعل جزءاً من المزرعات حجراً على أشخاص دون أشخاص؟ والقضية هي أن يبيع الإنسان لنفسه أن يتدخل في شيء ليس من اختصاصه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَهُوَ الَّذِي فِي لِسْمَاءِ إِلَهٍ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84)

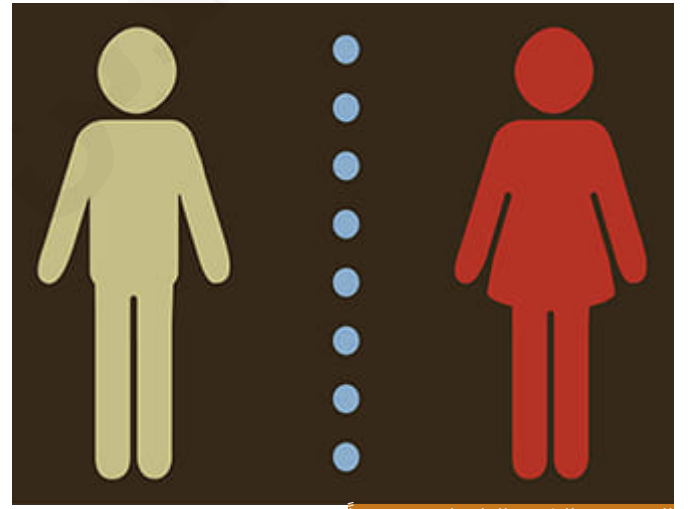
(سورة الزخرف)

فمنهج الله تعالى مطبق في الأرض، وهو يحكم نظام حياتنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا فِيمَا كُنَّا مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ  
حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139)

(سورة الأنعام)

4- فرية جديدة (وقالوا) المشركون، ما في بطون هذه الأنعام إما من الأجنة أو من الألبان من السوائب والبائث، جمع سائبة وجمع بحيرة سوائب وبائث، فقالوا: ما في بطونها سواءً كان أجنة أو ألباناً-علي بعض الأقوال-خالصة لذكورنا ومحرم علي إناثنا، الآن فرية جديدة؛ الذكور يشربون من هذا اللبن، ويأكلون من تلك الأجنة التي تُخرجها تلك الأنعام المخصصة التي خصصوها، وأما الإناث فيحرم عليهم ذلك وهم الأزواج أي الإناث.



الفرقة بين الذكور والإناث لا تجوز شرعاً

(وإن يكن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) إذا ولدت ذكرًا يذبحونه ويأكله الذكور فقط، إذا ولدت أنثى يتركونها، إذا ولدت مَيْتة يشتركون فيه الذكور والإناث يأكلونه؛ قانون، حكم قانون وضعي، المهر للمرأة إذا طلقها زوجها لها مهرها، في بلاد الغرب لها نصف أملاك زوجها؛ قانون، واليوم كثير من نساء المسلمين يقلن: نحن نحتكم إلى القانون الأمريكي، نحن نعيش بأمريكا، تكون هي مسلمة وزوجها مسلم، لكن نحن نحتكم للقانون فهنا وضعوا قانونًا، مصيبتهم أنهم وضعوا قانونًا خلاف ما أذن به الله تعالى، أباح الله تعالى الأنعام بشكل مطلق، جعلوها مخصصة هذه للذكور، هذه للإناث، هذا نشترك فيه (فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) وهذه الآية وإن كان وردت في الأنعام لكن يُستشف منها، وهذا استنباط الإمام مالك -رحمه الله تعالى- قال: (خالصة لذكورنا ومحرمٌ علينا أزوجنا) قال: قد ذم الله تعالى في هذه الآية أن يُجعل شيء خاص للذكور مجرم على الإناث، فجعلها دليلًا على أن الواقف إذا أوقف لذريته للذكور دون الإناث فإنه يبطل وقفه بعد موت الواقف، أي لو مات الواقف هو قال: أخي هذا البناء ليس ميراثًا، هذا سأسجله وقفًا يبقى في ذريتي في أبناء الذكور فقط، فعند الإمام مالك قال: لا، يبطل وقفك، هذا يتحول للذكور والإناث، وبعض أصحاب الإمام مالك قالوا: حتى في الهبة تبطل الهبة استنباطًا من الآية، أي أن يقول الأب: أنا في حياتي سأهب هذا البناء للذكور فقط، ولن أهبه للإناث، طبعًا هذا لا يجوز شرعًا إن لم يكن له ميرر شرعي يجيزه الشرع أن يخص ولدًا دون ولد؛ لأن هذا ليس من العدل، والنعمان بن بشير لما قالت له زوجته: لو نحلنا ابني هذا حديقة فنحله حديقة، قالت أشهد على ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

{ فقال له: إني تحللت ابني هذا غلامًا فقال له: أكلٌ ولدك له نخله مثلُ هذا، قال: لا، قال فارذده [وفي رواية] أكلٌ ولدك نخله

مثلُ هذا؟ قال: لا، قال: أتجبت أن يكون الكُلُّ في البرِّ سواءً؟ قال: نعم، قال فسَوَّ بينهم في العطية [وفي رواية] أشهد

على هذا غيري وفي رواية إني لا أشهد على جور.

المحدث: ابن العربي (الروايات كلها صحيحة)

فالعدل بين الأولاد مطلوب، ومن صور عدم العدل بين الأولاد أن يعطي الأب الأشد براءً به ويترك الأبعد عنه فيزيد العاق عقوبًا، البارّ عندما يبرّك إنما يبرّك إرضاء لله تعالى وثوابه على الله، فضور عدم العدل في العلية كثيرة، لكن هنا الإمام مالك استنبط أن هذه الهبة أو أصحاب الإمام مالك استنبطوا أن هذه الهبة لا تصح بأن يجعل شيء خالص للذكور دون الإناث، مع أن الآية في الأنعام لكن استنبط منها، وقالوا: (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ لَآئِعْمٍ خَالِصَةٌ لَّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا فِيمَا كُنَّا فِيهِ شُرَكَاءَ اللَّهِ إِذْ نُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَنُحْمِلُهُمْ فِي بُطُونِ الْعِبَادِ وَهُمْ عَلَيْنَا سَوَاءٌ وَكَلِمَاتٌ لَوْ كَفَرْنَا بِهِمْ لَبُغْتُمْ بِهَا بِصَافِعِكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الثَّوَابِ لَوَسَّعْتُمْ فِيهَا فَكَيْفَ) أي سيجزيهم الله تعالى بقولهم هذا ما يستحقون، (إِنَّهُ خَكِيمٌ عَلِيمٌ) يأتي في القرآن الكريم دائمًا اقتران بين اسمي العليم والحكيم، وغالبًا ما يأتي العليم قبل الحكيم (العليم الحكيم) (إنه عليم حكيم)، فالعلم دائمًا يؤدي إلى الحكمة، العلم مؤداه الحكمة، أنت كلما كثرت معلوماتك كنت حكيماً أكثر في تصرفاتك، وغالبًا الذي يتصرف بطيش بعيدًا عن الحكمة إنما يكون عنده نقص في المعلومات، فلما تبين له المعلومات يقول: ليتني لم أفعل، لذلك الحكمة أن تنتظر حتى تأتيك المعلومة الصحيحة، لأن غالب الناس يندمون بعد حين من تصرفاتهم.

## معنى الحكمة:



الحكمة والعدل هم شرع الله عز وجل

والحكمة من الحكمة، والحكمة هي الحديدية التي توضع في فم الفرس لتتحكم به لئلا يأكل كثيرًا من الأرض، فيسحب فيتوقف عن الأكل تسمى الحكمة، فالحكمة أن يجعل الإنسان وقتًا قبل أن يتصرف؛ لأنه إن تصرف وعنده نقص معلومات ثم تبينت له المعلومة الصحيحة فإنه يندم، لكن هنا قدم الحكيم على العليم لأن الموطن هنا موطن حكمة؛ أي الله تعالى له حكمة عظيمة فيما يفرضه على عباده، فلما يتدخل الإنسان فيما لا شأن له به فيحلل ويحرم فإنه إنما يفعل خلاف الحكمة، فالحكمة هي شرع الله، والعدل هو شرع الله، وكان ابن تيمية -رحمه الله- يقول: "الشرعية رحمة كلها عدل، عدل كلها، مصلحة كلها، حكمة كلها، وأي قضية أخرجت من الرحمة إلى القسوة، ومن الحكمة إلى خلافها، ومن العدل إلى الجور، ومن المصلحة إلى المفسدة، فليسيت من الشرعية وإن أدخلت عليها بألف تأويل وتاويل"، الشرعية حكمة، فقد تفهم الحكمة وقد تغيب عنك الحكمة لكن تؤمن بحكمة الله تعالى في شرعه (إِنَّهُ خَكِيمٌ عَلِيمٌ) -جل جلاله-.

## جهل المشركين وافتراؤهم على الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فَنَزَّاهُ عَلَىٰ لِلَّهِ قَدْرًا وَمَا كَانُوا مَهْتَدِينَ  
 (140)

(سورة الأنعام)



تجريم الحلال وتحليل الحرام أعظم افتراء على الله عز وجل

الآن قضية جديدة متعلقة بالمشركين أدت إلى خسارتهم في الدنيا والآخرة، وهي أنهم (قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)؛ والثوب السفية هو الثوب الرقيق الذي يشف عما تحته، والسفيه هو الشخص الطائش الأحمق الذي طارت أخلامه، ليس عنده حلم وهدوء ورزانة ورضانة، (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) حَمَقًا وَجَهْلًا وَبَعْدًا عَنِ الْحِلْمِ، (بِغَيْرِ عِلْمٍ) وهذا قيد وصفي وليس قيدًا احترازيًا بمعنى أنه لا يوجد إنسان يقتل ولده سفهًا بعلم، وإنما كل من يفعل ذلك يفعله بغير علم، وكذلك قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
صُرِبَتْ عَلَيْهِمْ لِذَلَّةِ آيَاتِنَ مَا تُقْفَوُ إِلَّا بِحُلِيِّ مَنَ لِلَّهِ وَحَبْلِ مَنَ لِلنَّاسِ وَتَأْوُ يَعْصِبُ مَنَ لِلَّهِ وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمْ لِمَسْكَنَتِهِ ذُلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا  
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَعْتُلُونَ لِأَلْسِنَتِهِمْ بَعْثَ حَقٍّ ذُلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)

(سورة آل عمران)

ولا يوجد إنسان يقتل نبيًا بحق، وإنما كل من يقتل نبيًا إنما يقتله بغير حق، فهذا القيد لوصف جهلهم وحالهم فهم جهال، وحرموا ما رزقهم الله كما ورد قيل قليل فيما فعلوه في الأنعام فجعلوا بعضها حلالًا وبعضها حرامًا، وهو رزق من الله ما كان ينبغي أن يحرموا شيئًا رزقه الله، ومن هنا فإننا نقول دائمًا: إن تحريم الحلال كتحويل الحرام، بعض الناس يظنون أن تحليل الحرام أمر عظيم لكن تحريم الحلال هو من باب أولى وهذا ليس صحيحًا، فليس في الشرع مرتبتان، مرتبة أولى هي أن يحرم الحلال وتحته أن يحلل الحرام بل كلاهما سواء؛ لأن كليهما افتراء على الله تعالى، فليُنظر الإنسان عندما يفتي ما يتسرع بالفتوى فيحرم حلالًا، ينتظر ويسأل ويتبين المسألة؛ لأن تحريم الحلال كتحويل الحرام، **وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فَزَادَهُمْ إِسْرَارًا عَلَى اللَّهِ** أعظم فرية أن يفتري الإنسان -والعباد بالله- على الله، أعظم فرية أن يفتري الإنسان على ربه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوَىٰ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)

(سورة البقرة)

**(قَدْ صَلَّىٰ وَمَا كَانُوا مِنْهُمْ أَتَقِيْنَ)** لو قال المولى: (قد صلوا) و فقط، إذًا ليسوا مهتدين، فلماذا قال: **(قَدْ صَلَّىٰ وَمَا كَانُوا مِنْهُمْ أَتَقِيْنَ)**؟ لأن الفعل (صلوا) قد يفيد أن هذا أول ضلال من ضلالهم، لكن لما قال: **(وَمَا كَانُوا مِنْهُمْ أَتَقِيْنَ)** فتبين أن هذا الضلال مبني على ضلال قبله فهي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَوْ كَطُلُمِثٍ فِي يَٰحِرٍ لُّجِيٍّ يَعْشُهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَخَابٌ طُلُمِثٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ  
يَرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ لِلَّهِ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (40)

(سورة النور)

فهم ما كانوا مهتدين أصلًا أي لم يكن عندهم هداية ثم صلوا في هذه المسألة، لكنه ضلال فوق ضلال **(قَدْ صَلَّىٰ وَمَا كَانُوا مِنْهُمْ أَتَقِيْنَ)**.

### بيان عظيم فضل الله على الناس:

الآن ربنا -جلَّ جلاله- في هذه الآيات اللاحقة سيبين فضله وعظيم رزقه وعظيم فضله على الناس، ليبين بذلك شناعة أفعالهم السابقة في أنهم جعلوا لأنفسهم سلطة التحليل والتحرير وفق أهوائهم وزعمهم لا وفق منهج الخالق، فالذي خلق هو الذي يشرع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا تَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا سْتَجَابُوا لَكُمْ وَتَوْمٌ لِّقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ يَشْرِكُكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِّنْ خَيْرٍ (14)

(سورة فاطر)

فالخالق هو الخير، والخير هو الذي يعطيك المنهج الصحيح الذي ينبغي أن تسير عليه، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْبِئِهِمْ وَحَفْظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)

(سورة النور)

أي عُصُوا، (بَعْضُوا) أمر يقتضي الوجوب، لكن هناك أمر في القرآن لا يقتضي الوجوب؛ لأن هناك قرينة صرفته عن الوجوب إلى غير الوجوب، كقوله تعالى للمتكبر يوم القيامة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49)

(سورة الدخان)

فهذا أمر للتهكم وليس للوجوب فهو سيدوق سيدوق، وهناك أمر يقتضي الإباحة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا لِشَهْرٍ حَرَامٍ وَلَا لِوَالِدَيْهِ وَلَا لِأَقْرَبِ رَحِمٍ وَلَا لِأَنْفُسِكُمْ سَنَنْتُكُمْ قَوْمٌ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَاللَّفْقُوتِ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

(سورة المائدة)



كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ  
حسناً إنسان تحلل وانتهى من الإجماع ولا يجب أن يصطاد؟ لا يوجد مانع، هذا أمر للإباحة، كان محرماً صار مباحاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فَإِذَا فُصِّتِ لِلْمَلُوءِ فَانْتَبِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)

(سورة الجمعة)



للفقراء حَوْءٌ فِي مَالِكَ عِنْدَ الْحَصَادِ

أنا لا أريد أن أنتشر في الأرض، أريد إنهاء الصلاة وأذهب للبيت كي أنام، يلزم أن أنتشر؟ لا، هذا أمر للإباحة، هذا الأمر هنا قال: **(كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ)** أي أنه يباح لكم أن تأكلوا من الثمر إذا أثمر، ولو أحيانًا قبل أن يبدو صلاحه قبل أن ينضج ما دامت الثمرة خرجت فيباح لكم الأكل منها، وقال بعضهم -وهذا رأي وجهه-: **(كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)** فما دام المال فيه حق عند الحصاد، فإذا أثمر فأكلت منه قبل أن أحصده فهذا الذي أكلته فيه حق للفقير؟! فأباحه الله تعالى؛ أي أنت اليوم بمزرعتك لم تحصدها، دخلت أعجيك بعض الثمر فقطعت وأكلت **(كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ)** فأباح لك لأن هذه حاجة بالنفس، حاجة بالنفس إنسان بدأ صلاح بعض الثمر فاستعذب بعض الزيتون، بعض.. كذا أخذه، وأكل منه، حسنتًا هذا فيه حق للفقير لأن الحق عند الحصاد، فماذا عما أكلته قبل ذلك؟ قال: أبيحه لك رحمة بك، قال: **(كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)** وقال يوم حصاده لوجوب المسارعة إلى الخيرات، فلا تأخر زكاة المال، و أشكلت هذه الآية أو هذا الجزء من الآية بان السورة مكية، والزكاة فُرِضت في المدينة، فقال بعضهم: لعل هذه الآية في الأصل مدنية، وقال بعضهم: بل كان في المال حق قبل الزكاة، ثم جاءت زكاة الزروع والثمار ففُرِضت في المدينة، فكان من حق الزكاة أن تؤتي حقه لكن غير محدد، وهذا أرجح الأقوال؛ أي لم يكن زكاة الزروع قد فُرِرت التي هي نصف العُشْر، والعُشْر فيما يُسقى بماء السماء أو يُسقى ببذل الجهد بالآلات أو البعل أو المروي، لكن قبل ذلك لم يكن نزل في مكة **(وَءَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)** يوم تحصد وزرعُ اللباس، وقالوا: كان الحق وقتها أن كل من حضر يأخذ، أي حق الله في هذا المال أنت أحضرت عمال، أحضرت كذا...، كلهم تعطيمهم من هذا المال شيئًا منه دون تحديد، **(وَءَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا)** أما **(وَلَا تُسْرِفُوا)** فقال البعض: ولا تسرفوا من الأكل من ثمره إذا أثمر حتى لا تضعوا حق الفقير، كلٌ باعتدال شيئًا قليلًا، لكن تسرف كثيرًا فيذهب حق الفقير في مالك عند الحصاد، وقال بعضهم: بل ولا تسرفوا حتى في إيتاء حقه يوم حصاده، وقبل إن بعضًا من الصحابة، أو بمن وزع كل شيء فلم يبق له شيء، فنزل قوله تعالى: **(وَلَا تُسْرِفُوا)** أي هذه لك، لذلك ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قيل من أحد ماله كله في الصدقة، كان يأتي الرجل فيقول: لك مالي كله، فيقول صلى الله عليه وسلم: ماذا أبقيت لأهلك؟ إلا أبا بكر قال: ماذا أبقيت لأهلك؟ قال: الله ورسوله، فما قيل من أحد لأن الإسلام واقعي يعلم أن النفوس تتعلق بالأموال، فما أمره أن ينفق كل المال، ربع العُشْر الألف خمس وعشرون شيء يسير جدًا في المال، وفي الزروع نصف العُشْر أو العُشْر، وزكاة الحيوانات أيضًا لها الأربعون، عندما يبلغ أربعين غنمة وشيء فيها واحدة وهكذا حسب ترتيب البقر والغنم والإبل، فرينا -جل جلاله- أعطاك الأكثر وأخذ القليل، فحتى هنا قال: **(وَلَا تُسْرِفُوا)** وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم:

{ كَلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَابْتَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ }

(أخرجه النسائي، وابن ماجه، وأحمد عن عبد الله بن عمرو)

لا تكبر ولا إسراف، حتى الصدقة لا يكون فيها إسراف ولا شيء، لكن البعض قالوا: لا إسراف في الخير؛ أي كلما زاد الإنسان في الخير الخير ليس فيه إسراف، رغم ذلك نقول: الإسراف هو مجاوزة الحد، فكل شيء دعوه ضمن الحدود الطبيعية بشكل أن تغني نفسك وأن تعطي للآخرين، والصحيح أن قوله: **(وَلَا تُسْرِفُوا)** عام يشمل كل ما ورد؛ أي لا تسرف حتى في الأكل عموماً، كلٌ باعتدال، لا تسرف في العطية فأبق لنفسك ولأهلك شيئًا، لا تسرف في الطعام فتضع أنواعًا متعددة ثم تأكل شيئًا ويبقى الآخر فلا يؤكل مثلاً، أمر عام بعدم الإسراف **(إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَبْغُوا حُطُوتَ السَّيِّئِينَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142)

(سورة الأنعام)

ما يزال -جل جلاله- يعدد نعماءه على بني آدم مذكرًا إياه بذلك؛ لأن الذي أنعم والذي أعطى له الحكم وله الأمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَاسْتَمْسَرَ  
وَاللَّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)

(سورة الأعراف)



الخير ليس فيه إسراف

كل الناس يقولون: (له الخلق)، لكن البطولة عند (له الأمر) له الخلق طبعاً له الخلق، من ينكر أن الله خلقه غير هؤلاء الذين اليوم في عصرنا الذين ما سبقوا حتى من المشركين، الذي يقول لك: ليس للكون إله؛ الملحدا، أنا أقول: هذه موضة، ليست شيئاً مبنياً على أسس ولا على قواعد، موضة مبنية على فراغ كبير، على مادية مقبلة في المجتمعات فصاروا يريدون أن يجربوا كل شيء فاخترعوا ما يسمى الإلحاد، لا يوجد إلحاد، حتى الذي يقول: لا يوجد خالق لهذا الكون، لو لم يكن يبحث في الأصل عن الخالق لما قال: لا يوجد خالق، إنه هو في الأصل لا يقبل شيئاً بغير موجد، فإنكاره دليل على وجود الفكرة في الأصل في فطرته بأن كل شيء يحتاج إلى من يوجد، ففي الأصل لا أحد ينكر أن له الخلق، لكن الناس يتفاوتون في قضية له الأمر، له الأمر هو الذي يأمر -جل جلاله- يقول لك: افعل ولا تفعل، يجوز، لا يجوز، حلال، حرام، فلذلك لما بين -جل جلاله- أفعال المشركين وزعمهم في الأنعام جاء بفضلهم وإنعامهم وخلقهم وإنشائهم وما جعله لنا في الأرض لنستنبط من ذلك أنه ينبغي أن نجعل له الأمر والإذن له في كل شيء.

**(وَمِنْ أَنْعَمَ)** أي جعل لكم من الأنعام **(حُمُولَةً وَفَرَسًا)** الحمولة ما يُحمل عليه، يجلس الإنسان على الإبل، الغنم الوليد الجديد لا يُجلس عليه هذا فرس، فالفرس في مقابل الحمولة، الفرش لأنه قريب من الأرض فكانه كالفراش، وقيل: **(وَفَرَسًا)** أي تتخذون منه فرسًا من أوبارها وأصوافها، فهي تحمل أنفالكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُكِّ تُحْمَلُونَ (22)

(سورة المؤمنون)

هذه حمولة، وفرسًا تتخذون من أصوافها وأوبارها أئانًا ورثيًا، تجعلون منها أئانًا، لكن في الأصل الحمولة ما يركب والفرش ما لا يركب، **(وَمِنْ أَنْعَمَ حُمُولَةً وَفَرَسًا ۗ كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ)** وهذا أمر للإباحة، رزق الله يؤكل منه إلا ما حدده الشرع فحرمه ونهى عنه كلحم الميتة والخنزير وغير ذلك.

عداوة الشيطان للإنسان وأساليبه في تزيين الباطل:



ولا تتبعوا خطوات الشيطان

**(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)** الشيطان باكرام له خطوات، فهو لا ينقلك إلى خطوة حتى تتمكن من الخطوة التي قبلها، فلذلك جاء الأمر بعدم اتباع خطوات الشيطان، هو يسير هنا وأنت تتبع خطواته فيقول لك: من هنا، فتذهب، يقول لك: نحن زمالة بالعمل فتتبع بالفكرة وتنام، يقول لك: ادعوا لفتحان قهوة، مكان عام ليس فيه شيء، بعد فتجان القهوة يقول لك: خذوا راحتكم بالبيت، وبعدها مصافحة وخلوة، وبعدها 90% من الناس يقول لك: لم يكن في ذهني أن أفع في الفاحشة -والعباد بالله- فقال: **(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۗ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)** أي عداوته ظاهرة بيته لا تخفى على ذي عقل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّ السُّبْحَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6)

(سورة فاطر)

هو عدو ظاهر مبين واضح (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوِّ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، ومن أعظم فريته أن زين لهؤلاء المشركين أعمالهم كما ورد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُنْزِلُوهُمْ وَوَلَّيْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ قَدْ زُهِمَ  
وَمَا يَفْقَهُونَ (137)

(سورة الأنعام)

فزين لهم أعمالهم وأمرهم بالسوء والفحشاء، وقالوا على الله -جلَّ جلاله- ما ليس لهم به علم، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، هذا والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.